

أضواء البيان

@ 315 { إِنْ زُلْزِلَتْ جَعَلْنَا نَارَهَا فَبِئْسَ فَتْنَةً لِّلْظَالِمِينَ * إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } . قد قدّمنا إيضاحه في سورة (بني إسرائيل) ، في الكلام على قوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرِّسَالَةَ بِلَاغٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فَتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَالشَّجَرَةُ الَّتِي كُنْتُمْ تُعْرَضُونَ فِي الْقُرْآنِ } . { فَإِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِ الْيَتُونَ مِنْهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِ الْيَتُونَ مِنْهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِ الْيَتُونَ مِنْهَا لَآكِلُونَ } . ما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في النار يأكلون من شجرة الزقوم ، فيملؤون منها بطونهم ، ويجمعون معها : { لَآكِلُونَ مِنْهَا } ، أي : خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة ، جاء موضحًا في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى في (الواقعة) : { ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ } . { ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ } . وقوله : { شُرْبُ الْهَيْمِ } ، الهيم : جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام ، وهو شدة العطش بحيث لا يرونها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء ، ولا تزال مع ذلك في شدة العطش . ومنه قول غيلان ذي الرمة : { فَإِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِ الْيَتُونَ مِنْهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ } . ما ذكره جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة من أن الكفار في النار يأكلون من شجرة الزقوم ، فيملؤون منها بطونهم ، ويجمعون معها : { لَآكِلُونَ مِنْهَا } ، أي : خلطًا من الماء البالغ غاية الحرارة ، جاء موضحًا في غير هذا الموضع ؛ كقوله تعالى في (الواقعة) : { ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ } . { ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ * ثُمَّ إِنْ زُلْزِلَتْ نَارُهَا لَآكِلُونَ } . وقوله : { شُرْبُ الْهَيْمِ } ، الهيم : جمع أهيم وهيماء وهي الناقة مثلاً التي أصابها الهيام ، وهو شدة العطش بحيث لا يرونها كثرة شراب الماء فهي تشرب كثيرًا من الماء ، ولا تزال مع ذلك في شدة العطش . ومنه قول غيلان ذي الرمة : { فَأَصْبَحَتْ كَالْهَيْمَاءِ لَا الْمَاءِ مَبْرَدٌ % صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هَيْامُهَا } % .

وقوله تعالى في (الواقعة) : { فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبُ الْهَيْمِ } ، يدلّ على أن الشوب ، أي : الخلط من الحميم المخلوط

لهم بشجرة الزقوم المذكور هنا في (الصافات) ، أنه شوب كثير من الحميم لا قليل . .
وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسير هذه الآية : { لَشَوْوٌ بَاءٌ مِّنْ حَمِيمٍ } ،
الشوب : الخلط ، والشوب والشوب لغتان ، كالفقر والفقر ، والفتح أشهر . قال الفراء :
شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء يشوبهما شوبًا وشيابة ، انتهى منه . { إِنْزَاهُمْ
أَلْفَوْوْاْ ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ ءَلَاءِ اثَّارِهِمْ يُهْرَعُونَ } . ما
دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن الكفار الذين أرسل إليهم نبيّنا صلى الله عليه وسلم :
{ إِنْزَاهُمْ أَلْفَوْوْاْ ءَابَاءَهُمْ } ، أي : وجدوهم على الكفر ، وعبادة الأوثان ،
فَهُمْ ءَلَاءِ اثَّارِهِمْ